وبغداد فخركم وتفو بلادكم . يا اولادي اياكم ان تخالفوا وصيتي وتثيروا نار الخصام بينكم لانهُ يفضي الى انقسام كلمتكم واضعاف قوتكم والفتّ في عضدكم فتخسرون السعادة والراحة وتخدرون الى دركات المُوَن وعلى الجملة فحفظوا وصيتي نجاحكم ومخالفتها وبالكم" ثم اسلم الروح سنة ١٠٥٤م

وقال البابا غريغوريوس السابع (١٠٨٥م) — " احببت العدل وابغضت الجور فلذا اموت في المنفى"

ولما دنت وفاة هنريكوس الرابع ملك المانيا (١١٠٦م) ارسل سيفهُ الى ابنهِ الذي كان قد ازالهُ عن العرش الملكي قائلاً : " ان هذا هو ما ابقيتهُ لي"

عيسى اسكندر المعلوف

اباه الضيم

خُلق الانسان وجُعل لهُ من الارادة ما يتصرف تحت سلطة العقل في احوالهِ الكونية واعمالهِ الاختيارية فالعقل مدبّر هذا الخلق المستقل في حكمهِ وحاكم هذا الانسان المنفرد في تدبيرهِ بل هو الانسان بجوهرهِ وسواهُ اعراض ملازمة

وما المرء الاّ الاصغران لسانهُ ومعقولهُ والجسم خلق مصورُ

فاذا كان العقل منفرداً في تدبير المرء كان هو والارادة لا يقبلان مزاحمة ولا يريدان مشاركة فاذا سارت النفس في طريق مدفوعة بسلطة الارادة كان من اعتراضها في سيرها وردّ حركتها غير ما تؤمّلهُ وضدّ ما تألفهُ وترتبهُ فتراهُ غريباً ويدعوها استغرابها الى النفور. ولكن سيرها لا يستلزم الاطراد في سنن الحق والانتهاج في منهج الصواب بل هو تابع لحكمة القائد (العقل) فان كان ثقفهُ التهذيب وسددتهُ التجارب وسرى على النظام الحكيم سرى آمناً من العثار متثبتاً من الزلل وان كان قد غلبت عليهِ الشهوات وتلاعبت بهِ النوازع الخارجية من البيئة والعشرة لم يثقف ولم يهذب ولم يسلك على النهج الحكيم كان سيرهُ ضلالاً فكان لهُ من الحكمة والسداد قيود قيدت سلطة الارادة حيث تأخذ بزمامها عن الطماح وازعة الشريعة التي دعت اليها الضرورة الاجتماعية وثبتت ببقاء الاصلح وكان منها صدٌّ للنفس عن تهورها في تيهور الضلال ومانع لها من اشرافها على مهالك الخطاء.

مع الف النفس زمناً طويلاً هذه القيود العادلة تراها اذا انصرفت في امر ما وصدّها عنهُ هذا القانون العادل رجعت مكرهة. فالارادة في كل احوالها اذا رجعت الى اختيارها

لا تقبل حكمًا معاكسًا لها. وهذه حالتها الطبيعية تنشأ مع الطفل الصغير الى الشيخ الوقور فاذا سيمت قهرًا وذلًا نفرت منهُ ما صوَّر العقل لها عنهُ مهربًا فاذا اخلدت الى السكون وخالفت المجرى الطبيعي لرهبة او رغبة واحتملت ما تأباهُ في اصل الفطرة تشبث فيها مخالب الذل وهي ساكنة حتى تموت ارادتها او تضعف وحينئذ الضيم الاكبر والذل الاعظم

اذا كان المرء في حالة الاستبداد فتدلت بهِ حتى لتحت وجههُ سمائها ورأى منها ما لم يكن رآهُ قبلاً فراض على امثالها نفسهُ حتى استلانت شكائمها ولم يحدث معهُ هذا التدلي انتباهًا ونهضةً كان في ضيم يجب المفرُّ منهُ

اذا لم يستبسل المرء في دفع ضيمهِ بل ابطأ بهِ الخوف من الفشل والوقوع فيما يكره مما تصورهُ لهُ واهمتهُ ومثَّلهُ جبنهُ على حد قولهِ الناس من خوف الذل في الذل كان في ضيم يجب المفرُّ منهُ

اذا الف امرؤ سير الحق على صراطهِ فقامت قوةٌ تصرفهُ عن مسراهُ قضاء لمرادها الشاذ عن القانون الحكيم والنهج العادل وسكت هو عن مغالبتهِ تلك القوة بجهدهِ كان في ضيم يجب المفرُّ منهُ

بل اذا رأى منكرًا تأباهُ المروءة وتبرأ منهُ الانسانية وقدر على دفعهِ أو المجاهرة بانكارهِ ولم يفعل كان في ضيم يجب المفر منهُ

اذا انصرفت لامرٍ ما ارادة امرءٍ وعارضتها قوة اخرى في انفاذ مرادها ولم تكن تلك المعارضة مسوقة بروح التهذيب كانت المعارضة ضيمًا يجب المفر منهُ

ربما يعمل الانسان عملاً فيجر عليهِ اهانة او سبَّة ويحجل عليهِ الذل فاذا علم بالعقبى واستشعرها قبل العمل واقدم عليهِ سيرًا مع الطاعة كان في ضيم يجب المفر منهُ

الارادة منبعثة عن النفس تصرفها في الذي تهواهُ واهواء النفوس متجهة الى موارد منافعها فقد تشذ بالنفوس اهواؤها الى ما يضر بالمصلحة العمومية وان كان منهُ شبه نفع او نفع خاص عاجل ولكن القوانين الشرعية العادلة تزع الانسان عن شهوره بامثال ذلك مما يضر بنوعهِ وان شئت قل مما يضر بالانسانية ومقوماتها والفضيلة ومرقياتها فاذا صرفت الارادة عن مجراها هذا الذي لها فيهِ نفع خاص قوة الشريعة ومسيطر العدل بحيث يتلافى ما يرقب من حدوث المضرة العامة لم تكن المعارضة ضيمًا يجب المفر منهُ

يرى المرء حقهُ مهتضمًا ومن دون قيامهِ لهُ صعوبات جمة كالاضرار بالحقوق العامة فيحكم عليهِ حسن النظر وكمال الروية بالسكون فلا يكون سكونهُ هذا ضيمًا يجب المفر منهُ

لما اجتمع المهاجرون في سقيفة بني ساعدة على بيعة ابي بكر بن ابي قحافة رضي الله تعالى عنهُ اقبل ابو سفيان بن حرب يقول " اني لارى عجاجةً لا يطفئها الاَّ الدم يا لعبد مناف فيمَ ابو بكر من امركم اين المستضعفان اين الاذلاَّن (يريد عليًّا والعباس) ثم قال لعلي " امدد يدك ابايعك فوالله لاملأنَّها على ابي فضيل خيلاً ورجلاً " فامتنع علي فولى ابو سفيان وهو ينشد

ولن يقيم على ضيم يراد بهِ ... الاَّ الاذلان غير الحي والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برمتهِ ... وذا يشجُّ فلا يرثي لهُ احدُ

ابو سفيان شيخ قريش وسيد البطحاء يرى ان صرف الامر عن احد الحيين هاشم وامية وهما العريقان في النسب الاصيلان في الشرف الى من يعدُّهُ دونهما من القبائل وسكوتهما عن ذلك ضيم لا يحتمل وعليٌّ كرَّم الله وجههُ يرى انهُ احق بالخلافة وان في صرفها عنهُ هضماً لحقهِ وغمطاً لفضلهِ لسبقهِ وعظيم اثرهِ في الاسلام ولكنهُ يعلم انهُ ان اتَّبع آراء المحرضين ولم يرضَ خلافة المستخلفين بعد ان توطد امر ابي بكر رضي الله عنهُ اوقع الاسلام في ارتباك وهو لم يزل بعدُ في مهد نشأتهِ والمسلمون في المدينة اكلة آكل ومرتدة العرب تتنمَّر لهم الى الانضمام احوج وعليهِ احرص فكونهُ هذا لا يكون من الضيم في شيء وان عدَّهُ ابو سفيان سيرًا مع العصبيَّة وغفلة عن المصلحة ضيمًا يجب المفر منهُ

اذا ضيع المرء على الاباء انف من الضيم ان ينال غيرهُ اما لانهُ تعلَّق بهِ كما لبَّى المعتصم بن هرون العباسي صوت المستغيثة بهِ بقولها وا معتصماهُ وهي في عمورية وهو في بغداد فحشد الجيوش وسار بالبعوث ونازلها بنفسهِ حتى افتتحها وقد اشار الى ذلك ابو تمام بقولهِ

لبيت صوتًا زبطريًّا [1] هرقت لهُ ... كأس الكرى ورضاب الخرَّد العرب

او لأن حفظية الأبي تأبى الضيم في كل حالاتهِ فيجرد من ماضي عزيمتهِ ما يدفع بهِ شر ذلك الاعتساف ويبادر ذلك الضيم

ان قريشًا لم تكن في حرمها محكومة لحاكم ولا مقيدة بقانون غير حفظية في الاخلاق معروفة وشيمة في النفوس عريقة تدعوان شيخة قريش الى حفظ الجوار واكرام الجار ودرء كيد الظالم عن مظلومهِ كائنًا من كان فيمنع حلفُ الفضول مثل بنيه بن الحجاج وهو من سادة قريش عن تطرُّحهِ مع هواهُ لما اغتصب التنوخ بنت التاجر الخثعمي وهي غريبة الدار لا ناصر لها فانتزعوها منهُ بعد ان خرج بها منتبذًا ناحية من مكة وردوها الى ابيها وتركوا ابيها ينشد

(1) منسوب الى زبطرة بلد بالروم وهو الغنى الذي صدر منهُ صوت المستغيثة

راح صحبي ولم احيّ القتولا لم اودعهمُ وداعاً جميلا
حين جدّ الفضول ان يمنعوها قد اراني ولا اخاف الفضولا

وحلف الفضول هذا اثر جليل من آثار الجاهلية لم يبطلهُ الاسلام فيما ابطل من عوائدهم يقول فيهِ الجاحظ انهُ اعظم واشرف حلف في العرب واكرم عقد عقدتهُ قريش قديمها وحديثها قبل الاسلام عُقد لما ورد التاجر الازدي مكة معتمراً ببضاعة لهُ فاشتراها العاص بن وائل السهمي فبعث بها الى بيتهِ وتغيب فابتغى الازدي متاعهُ فلم ينلهُ فاستعدى السهميين فاغلظوا لهُ القول فطوّف في القبائل فلم يرَ مجيباً فصعد ابا قبيس وقد اخذت قريش مجالسها ونادى

يا للرجال لمظلوم بضاعتهُ ببطن مكة نائي الحي والنفرِ
ومحرم اشعث لم يقض عمرتهُ يا آل فهرٍ بين الحجر والحجرِ
هل منصف من بني سهم فرتجعُ ما غيّبوا ام ضلال مال معتمرِ

فسمعهُ الزبير بن عبد المطلب بن هاشم فحلف ليعقدنَّ مع بطون قريش حلفاً يمنع بهِ القوي من ظلم الضعيف وفي ذلك يقول

حلفت لاعقدنْ حلفاً عليهم وان كنا جميعاً اهل دارِ
لسميهِ الفضول اذا حلفنا يعزُّ بهِ الغريب لدى الجوارِ
ويسلم من حوال البيت انا اباة الضيم نهجر كل عارِ

ثم اجتمعت قبائل هاشم والمطلب واسد وتيم وزهرة في دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا في شهر حرام قياماً يتماسحون بالكعبة معهم المظلوم حتى يؤدوا اليهِ ظلامتهُ وفي التأسي في المعاش والقيام بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوهُ في جفنةٍ وغسلوا بهِ اركان البيت ثم شربوهُ وقاموا الى العاص فاخذوا منهُ حق الرجل

فعقد قريش هذا الحلف وهي امة في البداوة عريقة ليس لها من وسائل التهذيب والتثقيف غير ما ترشدها اليهِ الفطرة وتدعوها اليهِ الحفيظة ينهض بها عن الإخلاق بعقدها والإخلال بوعدها اباءٌ وعزةٌ ونفوسٌ عالية لم تألف الضيم ولا خنعت للذل

اذا رضخ شخص لظلم آخر فاما ان يكون رضوخهُ استكانة وضعفاً وخفضاً لجناح الذل فذلك هو الضيم او يكون حملهُ هذا هرباً من ضيم اعظم وذل اكبر كما اذا علم يقيناً انهُ اذا نجا من هذا الضيم لا مندوحة لهُ عن ان يقع في ضيم اعظم واشد عليهِ هولاً فلا يعد ارتكابهُ اخف الضررين ضيماً يجب المقرمنهُ

الامور بغواتها والعمل بعقباه فاذا جرّ العمل منفعة عدّ نافعاً ولو امرّت مقدماتهُ واذا جرّ مضرة عدّ ضاراً ولو حلت اوائلهُ فاذا استطرد سير المنفعة الى ان وقع طالبها في ضيم تجبر كره العقبى الصالحة وتستر سوأة النتيجة النافعة وكان العقل يحكم بافضلية الضرر الحاصل من الضيم كأن يكون بهِ حفظ كيان علم او أمة لم يكن في ارتكابهِ ضيم يجب المفرمنهُ

ما وضع الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهُ يدهُ في يد معاوية بن ابي سفيان الا لما علم العقبى من الجمع والانضمام بعد عملهِ هذا وما يستدعيهِ تضعضع احوالهِ بعد ما رأى من عسكرهِ ومن احوال الامة عموماً لما استحكمت العصبية لمعوية بما أوتيهِ من الدهاء وبسط الكف . فالحسن ليس من عملهِ هذا في ضيم يجب المفرمنهُ وان خاطبهُ سفيان ابن ابي ليلى النهدي بقولهِ يا مذل المؤمنين

ان كريم النفس عظيم الاباء ليأنف من ان يعطى الدنية صاغراً ويخفض جناح الذل مستكيناً وهل يروم بذلك الاخلاد الخلود او يتطلب بهِ شرف الوجود وعيش المرء في الموان ممات وموتهُ في العز حياة . واي شيء اكبر لدى الشريف السري من ان يلقي يدهُ في يد الوضيع الدنيء سائراً في امرهِ مطيعاً لرأيهِ نازلاً على حكمهِ منكساً هامهُ لاستبدادهِ يتلقى صواعق الملامة من نفسهِ ويوراق التعنيف هنالك تذهب نضارة العيش ويعدم رونق الحياة واحرى بصاحبها ان يقول

ألا موت يباع فاشتريهِ فهذا العيش ما لا خير فيهِ

ان الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام من اجلّ ذوي النفوس الابية لما رأى ان امر الامة وزمامها ادلي الى يزيد بن معاوية وانهُ اولى منهُ بهِ لقصور نسبهِ وعظيم حسبهِ وحقيق اهليتهِ في نفسهِ وفضلهِ واخلاقهِ وسائر احوالهِ وان يزيد لا يليق لهذا الامر انتهكهُ في نفسهِ وانهماكهُ في شهواتهِ ولثن ولي الخلافة سام الاسلام الضيم

فآثر ان يسعى على جمرة الغضا برجل ولا يعطي القادة عن يدهِ

وقال قفي بالنفس وقفة وارد حياض الردى لا وقفة المتردد

وخرج داعياً الى الله مستنكفاً من الجور منكراً وضع الامر في غير اهلهِ حتى كان ما كان من امرهِ وغدر بهِ اهل الكوفة . ولما عرض عليهِ ابن زياد النزول على حكمهِ ابى واستحب الموت على الدنية وفي ذلك يقول

"الا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا وجدود طابت وحجور طهرت ونفوس ابية وانوف حمية ان نؤثر طاعة اللئام على

مصارع الكرام» . الى ان سالت نفسهُ رضي الله عنهُ على ظبي السيوف ولهادم الاسنة وصُرع حولهُ سبعة عشر من سراة اخوتهِ واولادهِ و بني عمهِ سيرًا مع الاباء واتقًا من الذلة وابق امثولة يتمثل بها كل ابي وينشدها كل سري سرى على سننها وانتهج نهجها من ولدهِ زيد بن علي بن الحسين فانهُ لما سيم الهوان في مجلس هشام بن عبد الملك بن مروان بعد ان لقي من عمالهِ ما لا تقر نفسهُ الابية على مثلهِ قال ما احب احد الحياة الأذل» ثم انشد

شرّدهُ الخوف وازرى بهِ كذاك من يكرهُ حر الجلادْ
مخرق(١) النعلين يشكو الوحى(٢) تقرعهُ(٣) اطراف مرو(٤) حداد(٥)
قد كان في الموت لهُ راحة والموت حتم في رقاب العبادْ

ثم خرج من مجلس هشام وخرج معهُ نفر يسير بخروجهِ عن حدود الشام حتى دخل العراق واقتر باهل الكوفة فذهب شهيد الاباء قتيل الانفة مصلوبًا شلوهُ بالكناسة من ارض الكوفة. وتلك شيمة النفوس الابية اما فتح او هلاك كما كان من امر محمد وابرهيم ابن عبد الله بن الحسن لما حصر عيسى بن موسى محمدًا بالمدينة زمان خروجهِ على المنصور قيل لهُ انج بنفسك فان لك خيلاً مضمرة ونجائب سابقة والحق باليمن او مكة فقال اني اذا لعبدٌ وخرج الى الحرب يباشرها بنفسهِ ولما استقتل اشير عليهِ بالاستتار فقال لا ولا كرامة يستعرض اذًا عيسى اهل المدينة فيكون لهم كيوم الحرة لا والله لا احفظ نفسي بهلاك اهل المدينة . فبذل لهُ عيسى الامان على نفسهِ واموالهِ فابى ونهد الى الناس بنفسهِ واوصى اخاهُ ان تحرق كتب البيعة حتى لا يؤخذ بهِ احد. وقدم قادم الى المنصور يخبرهُ ان محمدًا هرب فقال كذبت انا اهل بيت لا نفر. ولما اتى نعيهُ اخاهُ ابرهيم وهو نازل بأخرى(٦) جرض(٧) بريقهِ وجزع جزعًا شديدًا وانشد

الله يعلم اني لو خشيتهمُ او آنس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوك ولم اسلم اخيَّ لهم حتى نعيش جميعًا او نموت معا

ثم حشدت اليهِ جيوش المنصور فقاتل حتى قتل

وربما يترقب المرء في استلامهِ لعدوهِ عيشًا هنيئًا وماء رويًّا وامرة وحكمًا ولكنها مزجت بماء الذل وتلبست بلباس المن فيأنف العيش الهنيَّ في ظلال المن والاذى وهذا من احسن مواقع الاباء

(١) لفحة جهدٍ وكثرة مشيٍ هربا (٢) الحفا (٣) تقرعهُ (٤) حجر الصوان المحددة الراس
(٥) يقول لخوفهِ وفرارهِ من حر الطعان اجهد نفسهُ ركضا حتى شكى الحفا حيثما استهبت ورمى بالحجارة المحددة الرؤوس (٦) قرية كانت قرب الكوفة (٧) غص بريقهِ

قال عبد الملك يوماً لجلسائه من اشجع الناس فاختلفوا بين قائل فلان وبين قائل فلان فقال عبد الملك " بل رجل جمع بين سكينة وفلانة وفلانة (يعدد زوجاته) ولي العراقين فاصاب كذا الف درهم واعطي الامان على ذلك كله وعلى ولاياته وماله فابى وبشى بسيفه حتى قُتل ذلك مصعب بن الزبير وتلك شيمة عرفت في اخيه عبد الله لما حُصر بمكة وضايقه الحجاج بن يوسف وتركه الناس حتى ولداه حمزة وحبيب قال لامه اسماء ما ترين يا اماه وقد خذلني الناس حتى ولداي اعطوني الامان وما اريده من الدنيا. قالت له انت يابني اعلم بنفسك ان كنت على الحق وانت تدعو اليه فامض له ولا تمكّن غلمان بني امية يتلاعبون (١) في رقبتك وان كنت تريد الدنيا فبئس العبد انت هلكت واهلكت من معك وليس هذا فعل الاحرار وكم خلودك للدنيا امض فالقتل احسن. فقبّل راسها وقال هذا رأيي وما دعاني الى الخروج الاّ الغضب لله ان تستحل محارمه ثم انشد

ولست بمتباع الحياة بسبّة ولا مرتق من خشية الموت سلّما

يعلم المرء انهُ اذا استسلم لعدوه سامهُ الهوان وحمّل عليه المذلة فيبذل نفسهُ ونفيسهُ دون الرضوخ لهُ وفراراً من المذلة عنده وتلك شنشنة النفوس الابية وحفيظة الشهامة العربية

ان يزيد بن المهلّب على مكانته في العزة وشأوه في الامارة لو اعطى يده ليزيد بن عبد الملك وهو ذو ضغينة وحمل عداوته لكان لهُ يوم من الذل يوم يطأ على الراس بهِ على هوان فلم يدخل في طاعته ترفعاً عن ضيم يترقبهُ وفضّل الموت على الحياة ثم جيش جيشاً ودخل بهِ البصرة (علماً منهُ ان يزيد سيدركهُ بجيوشه) فملكها عنوة وحبس عاملها وارسل اليه يزيد بن عبد الملك جيشاً كثيفاً مع اخيه مسلمة وابن اخيه العباس بن الوليد فالتقى الجيشان في واسط وامر مسلمة بحرق الجسور التي عقدها بن المهلب فلما رأى العراقيون النار علموا واركنوا الى الهزيمة فقال يزيد بن المهلب " قبحهم الله يقاتل دخن عليه فطار هل كان قتال ينهزم الناس من مثله اضربوا وجوه المنهزمين". فاستقبلهُ منهم الوف كالجبال فقال "غنم عدا في نواحيها الذئب" ثم انشد

فعش ملكاً او مت كريماً فان تمت وسيفك مشهور بكفك تعثر

ونزل عن فرسه وكسر جفن سيفه واستقتل فاخبر ان اخاهُ حبيباً قتل فازداد بصيرة في القتال وقال كنت اكره الحياة بعد الهزيمة فازددت لما بغضاً امضوا قدماً. فعلم اصحابهُ انهُ مستميت فتسللوا عنهُ وبقي معهُ منهم جماعة وهو يتقدم كلما مر بخيل كشفها حتى قُتل وقُتل معهُ اخوهُ محمد. وكان اخوهما المفضل يحالد اهل الشام ناحية اخرى فقال لهُ اخوهُ عبد الملك ان الامير اجدر

(١) كذا بهِ عن المذلة

الى واسط يخفي عنهُ خبر قتلهِ فانحدر المفضل ولما علم الحيلة حلف ان لا يكلم اخاهُ ثم انشد

ولا خير في طعن الصناديد بالقنا ولا في لقاء الناس بعد يزيد

ثم اجتمع آل المهلب بالبصرة وقتلوا عاملها وركبوا البحر فاتبعهم مسلمة بجنودهِ فجالدهُ ابناء المهلب باسيافهم حتى قتلوا عن آخرهم وهم ثمانية واستوسر احد عشر حملوا الى يزيد بن عبد الملك فقتلهم ولم يقبل فيهم شفاعة

يزيد بن المهلب لم يكن في حالة من الاصالة والعصبية يطمع معها بالخلافة ولم يخرج عن طاعة يزيد بن عبد الملك طالباً خلافة يتربع دستها ولكن خروجهُ كان انفةً من الضيم وهرباً من الذل كما قال الرضي

وهذا يزيد بن المهلب نافرت به الذل اعراق الجدود الاكارم
وقال وقد عنَّ الفرار او الردى لي الله اخزى ذكرة في المواسم
رأى ان هذا السيف اهون محملاً من العار يبقى وصمة في المخاطم
وما قلَّد البيض المباتير عنقهُ سوى الخوف من تقليدها بالادامم

اباء الضيم اساس كل محمدة ومصدر كل كريمة فلا يمارس الشجاع اهوال الحروب ولا يجر على نفسهِ ويلاتها الاَّ انفةً من مذلة التأخر وهرباً من عار التقهقر ودرءاً لضيم يناله وسمة يتصف بها ولا يضام الكريم بخمر مائر ويبسط بالعطاء يدهُ وينشر بالناس بذلهُ الاَّ استجلاباً للمحمدة وانفةً من وصمة البخل وسوء سيرتهِ ولا يتمسك باهداب الوفاء الاَّ من حفظ كرامة نفسهِ من عار المسبة وذلة التقريع . لم تسمح نفس المتوكل بنفس ولدهِ لشفرات السيوف ولهاذم الاسنة ولا تركهُ نهباً لسيوف صاحب دومة الجندل لما طلب منهُ ادرع امرء القيس الاَّ لمحبة المحمدة وانفةً من عار المسبة والمذلة وهرباً من وصمة الخيانة والتفريط بالامانة

لم تمُ هذه الخصلة الشريفة (اباء الضيم) في نفوس قوم الاَّ حفظوا كيانهم وحصنوا عزهم ونمت فيهم الاخلاق الطاهرة والشيم العالية

لم يخرج عثمان باشا الغازي من حصن بلافنا شاهراً سيفهُ مخاطراً بنفسهِ ليخترق صفوف المحاصرين الاَّ هرباً من ضيم الاسر وفراراً منهُ وان لم تكن الاقدار ساعدتهُ على نيل مرادهِ فوقع فيما حذر منهُ ولكن انتهاجهُ هذا المنهج الحر حفظ لهُ كرامتهُ في الاسر وهذا من منافع الاباء

اليابان دولة ليست كالروس في مساحتها وسكانها ولكنها تأبى الضيم وتبذل في درئهِ كل مرتخص وغال صمدت لروس صمد الابطال وثبتت ثبات راسيات الجبال وتفانت في درء الضيم الذي كانت تتوقعهُ من مزاحمة روسيا لها وتوسعها في الشرق الاقصى فاثارت حرباً عوانا

لم يسبق مثلها فانتصرت باتقانها وابائها مع تهذيبها والاستعداد العجيب عند انتصارات باهرة حارت لها دول الغرب وعدتها في مصاف الدول الاولى منها التي يرهب شأنها وتخشى سطوتها

ان خير ما تغرسهُ الام في فؤاد ولدها ابناء الضيم والهرب من الذل واستقلال الفكر والارادة هنالك ينشأ الولد متجنباً كل نقيصة متطلباً كل محمدة يترك سفاسف الامور حتى لا يُبتَذَل بها ويتأى عن النقائص لئلا ينسب اليها ويتمسك باهداب الفضائل فيغدو نموذجاً صالحاً يسعى للارتقاء سعيهُ ويحسن لدى الهيئة الاجتماعية منقلبهُ (رضا)

راس المال والربا

منشأ الربا

رأينا في ما تقدم ان راس المال يتكوّن مما وفّرهُ الانسان من مكاسبهِ وان القوات الطبيعية كالتربة والهواء ليست شيئاً من المال. ومتى حصلت الثروة فلا بد ان يستهلك القليل او الكثير منها في اعالة العامل لاعادتهِ ما استنفد من قوتهِ على العمل وما خسرهُ منها مع الوقت بحكم الطبيعة. بل لا بد ان تستهلك الثروة كلها اذا اطلق الانسان العنان لشهواتهِ التي تثيرها الثروة ما لم ينشأ داعٍ الى التوفير قوي الى حد ان يسترقف رغبة الانسان في التنعم ويخلّص من انياب الشهوة قسماً من الثروة. وقد رأينا في ما سبق ان الداعي الى التوفير في عهد العبودية انما هو تلافي الاعسار باغتنام فرصة الايسار. وفي ما يلي نلاحظ الاختلاف في تأثير هذا الداعي باختلاف الناس والامم

ليست الفائدة او الربا جزاء لاستعمال رأس المال — قيل ان الربا جزاء لاستعمال رأس المال وهو ليس كذلك. فان النقود التي هي صورة من صور رأس المال المختلفة هي المستعملة غالباً للرابا دون سائر الصور التي يظهر بها رأس المال. ورأس المال هو ما وفّرهُ الانسان بمشقة في العمل وتقشف في المعيشة كما رأينا فالربا جزاء تلك المشقة وذاك التقشف

معدل الربا — دعنا نبحث الآن في كيفية تعيين معدّل الربا. لا يخفى ان الاشياء تثمّن او تسعّر بحسب النسبة بين الموجود منها والمطلوب. فاذا كان المطلوب اكثر من الموجود غلت الاسعار واذا كان اقل رخصت. واستعمال رأس المال شيء من الاشياء المسعّرة التي يساوم عليها فليس ما يعيّن الربا الذي هو سعرهُ الا نسبة المطلوب من رأس المال الى الموجود منهُ